

الانتفاضة، نموذج التدوير، الواقعة التالية: من المعروف أن القانون الإسرائيلي يمنع رفع العلم الفلسطيني ويقدم المتهمين للمحاكمة. وقد قالت رئيسة اتحاد المرأة الفلسطينية: إنه يوجد في مكتبها أعلام فلسطينية، وتحدثت عن أهمية الألوان التي تشكل رمزاً مهماً للغاية في أعمال الاحتجاج. ولو كانت المسألة عامة تراكمية لأخذ الفلسطينيون الأعلام وخرجوا في مظاهرة (كما هو الحال في كل زمان ومكان). ولكن إبداع المتفضين يصل إلى ذروته هنا، فيلجئون إلى حيلة البطيخة التي كتبت عنها الصحافة الأجنبية، ولكن لم تكتب عنها الصحافة العربية. ربما لأن البطيخ فاكهة شعبية «غير محترمة» ليس مثل التفاح مثلاً أو حتى المشمش! فعند مرور القوات الإسرائيلية يقوم الفلسطينيون بقطع بطيخة إلى نصفين ثم يرفعون أحد النصفين، وكل لبيب بالإشارة يفهم، إذ إنه سيرى ألوان البطيخة المقطوعة، فهي حمراء وقشرتها خضراء وبيضاء وبدورها سوداء. وهي ألوان العلم الفلسطيني. ولعل عملية قطع البطيخة في حد ذاتها تذكر المستعمر الإسرائيلي بأشياء كريهة أخرى يقال لها إرهابية، أي أن قطع البطيخة أكثر عمقاً ورمزية من مجرد رفع العلم! وهو سلاح مبتكر تماماً مثل إلقاء الحجارة، وهو أيضاً سلاح رخيص ومتاح يوجد عند بائع الفاكهة في أي وقت، ولا يمكن للعدو مصادرته، وإن فعل فسيغدو أضحوكة أمام العالم. وهو سلاح اقتصادي للغاية يمكنك أن تأكله بعد أن تناضل به. وحسب علمي هو السلاح النضالي الوحيد في العالم الذي يؤكل (تماماً مثل عروسة المولد التي يلعب بها الأطفال ثم يأكلونها هنيئاً مريئاً). ويمكن للجميع استخدام سلاح البطيخة من سن السابعة إلى سن السابعة والسبعين، وهو أيضاً يستفز العدو دون إعطائه الفرصة للبطش. والبطيخ سلاح فلسطيني شعبي مائة في المائة، شأنه شأن الأسلحة الأخرى (ولا أعتقد أن من يأكل كثيراً من الهامبورجر، ويسمع كثيراً من الديسكو، ويقود سيارة. قادر على أن يستخدم البطيخة كعلم فلسطين، والأغنية كنظرية ثورية، والحجارة كسلاح!). وبالتالي فسلاح البطيخة، في نهاية الأمر يعبر عن الهوية ويدعمها، والهوية هي حلبة الصراع الحقيقية بيننا وبين العدو.